

زاد المسير في علم التفسير

قال الفراء بالسنيين أي بالقحط والجدوب عاما بعد عام وقال الزجاج السنون في كلام العرب الجدوب يقال مستهم السنة ومعناه جذب السنة وشدة السنة وإنما أخذهم بالضراء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله وفي الرجوع إليه قال قتادة أما السنون فكانت في بواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وقراهم وروى الضحاك عن ابن عباس قال يبس لهم كل شيء وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له إن كنت ربا كما تزعم فاملاً لنا نيل مصر فقال غدوة يصبحكم الماء فلما خرجوا من عنده قال أي شيء صنعت أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر غدوة أصبح فيكذبوني فلما كان جوف الليل اغتسل ثم لبس مدرعة من صوف ثم خرج حافيا حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه فقال اللهم إنك تعلم أنني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماء فاملاًه فما علم إلا بخير الماء لما أراد الله به من الهلكة قلت وهذا الحديث بعيد الصحة لأن الرجل كان دهريا لا يثبت آلهة ولو صح كان إقراره بذلك كإقرار إبليس وتبقى مخالفته عنادا .

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون .

قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة قالوا لنا هذه أي نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه وإن تصبهم سيئة وهي القحط والجذب والبلاء يطيروا بموسى ومن معه أي يتشاءموا بهم وكانت العرب تزجر